تهجير سكان مدينتي اللد والرملة



في 13 تموز 1948 أجبرت قوات الاحتلال نحو 70 ألفًا من أهل اللد والرملة والبلدات المجاورة على مغادرة بيوتهم خلال نصف ساعة، والسير على الأقدام في طريق وعرة نحو رام الله، تحت شمس تموز وبلا ماء، فمات المئات على الطريق عطشًا وإنهاكًا. وعُرفت هذه الرحلة في الذاكرة الفلسطينية بـ«مسيرة الموت». [1] [2]

جاءت المسيرة بعد يومين من مجزرة اللد ومسجد دهمش، وهي من أكبر عمليات التهجير الجماعي في النكبة، وواحدة من المجازر الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني.

محتويات المقال

1. مسيرة الموت في سطور
2. «اطردوهم»: قرار التهجير
3. على طريق الموت
4. جورج حبش: طبيب على قارعة الطريق
5. إسماعيل شموط: «إلى أين؟»
6. ما بعد المسيرة
7. أسئلة شائعة
8. المصادر والمراجع

مسيرة الموت في سطور

البند	التفاصيل
التاريخ	13 تموز 1948 [1] [2]
المهجّرون	نحو 70 ألفًا من اللد والبلدات المجاورة ومنها الرملة [1] [3]
مهلة الخروج	نصف ساعة [1]
الوجهة	رام الله، سيرًا على الأقدام في طريق وعرة [1] [2]
الماء	مُنع المهجّرون من حمل الماء [2]
الضحايا على الطريق	مات المئات عطشًا وإنهاكًا [1]
الأمر	بن غوريون: «اطردوهم»، ورابين: «طرد سكان اللد بسرعة دون الالتفات إلى السن» [1]
من بقي	نحو ألف فلسطيني في اللد والرملة معًا [4]

«اطردوهم»: قرار التهجير

في 12 تموز 1948، بعد احتلال المدينتين ضمن عملية «داني»، سأل يغئال ألون، قائد البلماخ، دافيد بن غوريون عن مصير سكان اللد والرملة، فأجاب بإشارة حازمة من يده: «اطردوهم». وعلى الفور وقّع يتسحاق رابين أمرًا عسكريًا: «يجب طرد سكان اللد بسرعة دون الالتفات إلى السن». [1]

وفي الرملة كان الجنود يطرقون الأبواب بأعقاب البنادق، ويصيحون بمكبرات الصوت: «يلّا عبد الله! روحوا على عبد الله، روحوا على رام الله!»، رغم أن وثيقة استسلام المدينة سمحت لأهلها بالبقاء. [5] مجزرة الرملة

على طريق الموت

في 13 تموز أُجبر الأهالي على الخروج خلال نصف ساعة، وسلوك طريق وعرة للوصول إلى رام الله. [1] ولم يُسمح لهم بحمل الماء. [2] فمشوا في صف طويل تحت الشمس، بينما حلّقت فوق رؤوسهم طائرة عسكرية صغيرة على علو منخفض لإرغامهم على مواصلة السير، ومات المئات منهم على الطريق من العطش والجفاف والتعب. [1]

ووصف ضابط الاستخبارات في جيش الاحتلال شماريا غوتمان المشهد، كما تنقل الموسوعة التفاعلية عن المؤرخ بني موريس: «أعداد غفيرة من السكان يمشون الواحد تلو الآخر، النساء مثقلات بأحمال على رؤوسهن، والأمهات يجررن أطفالهن، وبين حين وآخر تُسمع أصوات طلقات تحذيرية، وبين حين وآخر تواجهك نظرة خارقة من أحد الشبان في الطابور، نظرة تقول: لم نستسلم بعد، سنعود لنقاتلكم». [1]

جورج حبش: طبيب على قارعة الطريق

كان جورج حبش طالبًا في كلية الطب بالجامعة الأمريكية في بيروت، فقطع دراسته في حزيران 1948 وعاد إلى مدينته اللد، وعمل في عيادة طبية مساعدًا للجرّاح الذي يعالج الجرحى من المدنيين والمدافعين عن المدينة. [3]

ثم هُجّر مع والديه وإخوته في مسيرة الموت، وعلى الطريق كان يعالج المسنين والنساء والأطفال الذين يسقطون على قارعته. [3] وتقول الموسوعة التفاعلية إن النكبة كانت نقطة التحول الحقيقية في حياته، فأسس لاحقًا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. [3]

إسماعيل شموط: «إلى أين؟»

وُلد إسماعيل شموط في اللد في 2 آذار 1930، وكان في الثامنة عشرة حين أُجبرت عائلته على مغادرة المدينة في 13 تموز 1948 والسير إلى رام الله، دون أن يُسمح لهم بحمل الماء. [2] [6] ومات شقيقه الصغير توفيق، ابن السنتين، عطشًا قبل أن يصلوا إلى قرية نعلين قرب رام الله. [2] [6]

وفي عام 1953 رسم شموط لوحته الشهيرة «إلى أين؟»، التي صارت من أشهر أعماله. [2] [7] وفيها أب يسير بثلاثة أطفال في أرض جرداء: يحمل الأصغر على كتفه، ويمسك بيد الثاني، فيما يتبعهما الأكبر مطأطئ الرأس، ولا شيء في المشهد إلا شجرة عارية، والسؤال الذي يحمله العنوان: إلى أين؟ [7]

ما بعد المسيرة

لم يبقَ في اللد والرملة بعد التهجير إلا نحو ألف فلسطيني، بعد طرد عشرات الآلاف من سكانهما. [4] ومع ضحايا المجزرة داخل اللد، بلغ عدد الشهداء في تلك الأيام قرابة ألف. [1] وصار المهجّرون لاجئين في رام الله والضفة الغربية والأردن وما وراءها. اقرأ عن المدينتين قبل النكبة: اللد والرملة قبل النكبة.

خاتمة

نصف ساعة فقط، ثم طريق طويلة بلا ماء تحت شمس تموز. هكذا اقتُلع سبعون ألفًا من بيوتهم في اللد والرملة، ومات المئات منهم على الطريق، بينهم طفل في الثانية اسمه توفيق. ومن تلك المسيرة خرج طبيب صار قائدًا، وفنان رسم السؤال الذي ما زال الفلسطينيون يحملونه: إلى أين؟

أسئلة شائعة عن مسيرة الموت

ما هي مسيرة الموت؟

تهجير نحو 70 ألفًا من أهل اللد والرملة سيرًا على الأقدام نحو رام الله في 13 تموز 1948، ومات المئات منهم على الطريق.

من أمر بتهجير أهل اللد والرملة؟

دافيد بن غوريون بقوله «اطردوهم»، ووقّع يتسحاق رابين أمر الطرد.

كم كانت مهلة الخروج؟

نصف ساعة، ولم يُسمح للأهالي بحمل الماء.

ما علاقة إسماعيل شموط بمسيرة الموت؟

هُجّر فيها وهو في الثامنة عشرة، ومات شقيقه توفيق عطشًا، ثم رسم عام 1953 لوحة «إلى أين؟» عن اللجوء.

ما دور جورج حبش في تلك الأيام؟

عاد من بيروت إلى اللد ليعالج الجرحى، ثم هُجّر مع عائلته، وكان يعالج من يسقطون على الطريق.

المصادر والمراجع

1. «اللد، 9–13 تموز 1948»، الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
2. «إسماعيل شموط»، الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
3. «جورج حبش»، الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
4. «"المدن المختلطة" في إسرائيل.. نتاج السلب والنهب والتهجير لمدن فلسطين الساحلية»، القدس العربي، 6 حزيران 2021.
5. ساندي تولان، «سقوط مدينة عربية عام 1948»، الجزيرة الإنجليزية، 19 تموز 2008 (بالإنجليزية).
6. «إسماعيل شموط»، مؤسسة دلول للفنون، بيروت (بالإنجليزية).
7. إسماعيل غزالي، «"إلى أين؟" لإسماعيل شموط.. قراءة جديدة على وقع نكبة متجددة»، المجلة، تشرين الثاني 2023.